

في الأدب السري

من الأدب التركي الحديث

أحمد حكمت بك

وأخرى تتصادم ثم تنزل في ناحية من الفضاء اللانهائي . كانت الامواه تعلو وتنخفض، تغلي وتزدحون تلك اللهب المتعالية والنيران المناججة .

والكائنات تدور نعم كانت تدور
وكانت طوائف الملائكة المكلفة بتنظيم الارض تطير وتنقل من طرف الى آخر، منها من تمسك المياه المتجمدة من حوافها، وتدفع الجبال بأرجلها ، وترتب النجوم بأيديها، وتعيد الانهار الى فراشها، ومنها من كانت تجر (الدب الاكبر) من ذنبه، وتقود (برج الحمل) من قرنه .

والكائنات تدور نعم كانت تدور
بين تلك الغيوم والنجوم والدخان والليهب كان ملك ضحى بنفسه يطير بسرعة البرق خلف كوكب جميل مضى، خلف « الزهرة » الشاردة، ويينا يعيدها الى محورها الأول وقع فوق الصخور الملساء على اثر صدمة قوية كانت سبباً في فقده رشده . ولما استفاق من اغمائه سقطت دمعة من عينه انحدرت فوق الصخرة . لقد رأى الخالق الاعظم هذه التضحيات، ووافقته هذه الخدمات، فأراد الاتضيع ذكرى هذه الدمعة فخلق الرجل الأول « آدم » .

كانت دورة الارض تنظم قليلا قليلا، فالانهار نامت في فراشها والبحار هدأت في احواضها، والنجوم انتظمت في محاورها، والبراكين خمدت في اماكنها .

وكانت الشمس في كل يوم تبعث الحياة على اليابسة . وكانت الرياح بين آونة وأخرى تساعد الشمس في بعث الجمال والحياة وتطرية هذه الكائنات . وكانت بذور الورود تنتثر من الآفاق وباقات زهور الحب تساقط من الغيوم، وذرات النجوم المتناثرة في تلك القبة الزرقاء تشكل مروجاً من زهور البانوج « بابايتيه » وحاشية من حواشي قوس قزح تبدو للناظر ذيل طاووس بهيج .

وقد وجدت هذه البدائع لتكون مكافأة للملائكة على جهودهم وخدماتهم . وكانت الحور يتمتعن من هذا الجمال والتجديد تارة يسرن واخرى يطرن، يسمعن اغاريد الطيور، وبتنهجن من اريج الزهور، ويتراكن نحو ظلال الاشجار مرحات طربات، وكانت اجملهن واصغرهن، وأتعبن جالسة وسط زهرة فتحت صدرها واوراقها لأشعة الشمس لتشعر بهذا الجمال اكثر من رفيقاتها، ولتذوق هذه الحلاوة قبل صويحاتها . وهي كجميع

كان الأدب التركي القديم يرسف في اغلال الجود ويقطع مراحل النهضة بتأخر وبطء . فظهر أحمد حكمت بك ورفاقه امثال توفيق فكرت، خالد ضيا، جناب شهاب الدين وغيرهم ممن أحيوا الأدب التركي القديم، وكسروا قيود التعصب، واغلال البطء، وأظهروا للناس نتائج أفكارهم وثمرات عقولهم التي اقتبسوها من المغرب، وألبسوا الأدب ثوباً جديداً بنشرهم المقالات الأدبية الطريفة ونظمهم القطع الشعرية الطريفة . ولكن اضطر هؤلاء أن يقفوا حيناً بنهضتهم، ويخفضوا قليلاً من أصواتهم، أمام جبر السلطان عبد الحميد وظلمه . وما ظهرت شمس الدستور على يد مدحت باشا حتى قام اصحابنا بنهضتهم وشرعوا يتمون مشروعاتهم .

يعتمد أحمد حكمت بك في كتابته على الحس أكثر من الخيال، أسلوبه رقيق، ومعانيه سهلة، وأفكاره متينة . أكثر كتبه حافلة بالقصص والحكايات . يسعى حين الكتابة لأظهار حقيقة ما يكتب، وهو على عكس رفيقه خالد ضيا، قليل التكلف والصنعة . ولقد صور الأدب الغربي بصورة توافق لغته وبيئته . وله مؤلفات عديدة ومن أهم آثاره كتاب « خارستان وكليستان » .

وهذه قطعة من مشوره الموثوث بين كتبه القيمة، فان فقدت جمال الاسلوب وروعة الصنعة فجمال المعنى محفوظ على ما أظن :

« ساعة خلق الكون »

كانت جلبة وقرقعة في ديجور الظلام الخائق، وكان انقلاب وانفجار وسط الغيوم السوداء المزبدة الحواشي تحيط بذلك الفضاء الواسع . وكانت الرياح تعصف، والاحجار تسيل . واللب تنشر حرارتها وتذيب الصخر والجلود . وكانت الجبال تنقلب والبحار تفرغ وتمتلئ، والغيوم تنفجر وتشق فتولد المئات والالوف من النجوم التي تسبح في الفضاء كما تسبح اليراعات في الظلمات الخالكة، تارة تذوب .